**المقال الخامس**

**جماعة الإخوان المسلمون**

جماعة أو جمعية الإخوان المسلمون... جماعة أسسها الشيخ الشاب حسن البنا في مارس عام 1928م كحركة إسلامية في الإسماعيلية. وكان شعارها " الإسلام عبادة وإرشاد، دين ودولة، روحانية وعمل، صلاة وجهاد، طاعة وقوة، كتاب وسيف، وليس من دستور سوى القرآن". في البداية أسس سبع خلايا في الإسماعليلة، وفي الخمس سنوات الأولى من نشاط الجماعة، تم تأسيس نحو خمس عشرة شعبة لها بالإسماعيلية- في البداية- والقاهرة وشبراخيت والمحمودية( البحيرة) والمنزلة والجمالية وميت مرجا (الدقهلية) وشبلنجا (قليوبية) وطنطا (غربية) والسويس ودمياط وأبو حماد (شرقية). كما أصدرت الجماعة "صحيفة الإخوان المسلمين" في أواخر مايو 1933م.

**حسن البنا (1906- 1949م)**

ظهرت مقومات الزعامة والقيادة على حسن البنا في صباه، ففي مدرسة الرشاد الإعدادية – وهو بعد طالباً- صار رئيساً لمجلس إدارة "جمعية الإخلاق الأدبية" وذلك باختيار زملائه له. كما أنشأ مع زملائه أيضاً "جمعية منع المحرمات" ، حيث كانوا يرسلون خطاباً لمن يعرفون عنهم أنهم يرتكبون الآثام ـو يهملوا العبادات! أيضاً، وهو طالب بمدرسة المعلمين، أنشأ الجمعية الحصافية الخيرية.

بعد إنتهاء دراسته في مدرسة المعلمين بدمنهور، انتقل إلى القاهرة ليلتحق طالباً منتسباً إلى دار العلوم العليا. واشترك في "جمعية مكارم الأخلاق الإسلامية"، وكان يواظب على حضور محاضراتها. أيضاً، كان يهتم بسماع المواعظ الدينية لعدد من الشيوخ المشهورين. ويحكى عنه أن فكرة "جمعية الإخوان" قد تبلورت في رأسه وهو بعد طالب بدار العلوم. فقد كتب موضوعاً إنشائياً بعنوان "ماهي آمالك في الحياة بعد أن تتخرج؟ قال فيه:

"إن أعظم آمالي بعد إتمام حياتي الدراسية أمل خاص وأمل عام. الخاص: هو إسعاد أسرتي وقرابتي وما استطعت إلى ذلك سبيلاً. والعام: هو أن أكون مرشداً معلماً أقضي سحابة النهار في تعليم الأبناء وأقضي ليلي في تعليم الأباء أهداف دينهم ومنابع سعادتهم، تارة بالخطابة والمحاورة، وأخرى بالتأليف والكتابة، وثالثة بالتجول والسياحة".

في سنة 1927م، حصل حسن البنا على دبلوم دار العلوم وكان ترتيبيه الأول على دفعته، وعين معلماً بمدرسة الإسماعيلية الابتدائية الأميرية. وفي السنة التالية (1928م) تعاهد مع ستة من الشباب على تأسيس جماعة الإخوان المسلمين في الإسماعيلية.

وقد قاومت الأحزاب المصرية، التي تؤمن بالمواطنة وشعارها "الدين لله والوطن للجميع" مثل حزب الوفد والحزب السعدي... قاومت هذه الأحزاب حسن البنا وجماعته. كان حسن البنا يخلط الدين بالسياسة، فقد خاض الإنتخابات أكثر من مرة بدائرة الدرب الأحمر بالقاهرة حيث المركز العام للجماعة ولم يفز. أيضاً، تقدم للترشح بعض زملائه ومنهم أحمد السكري سكرتير الجماعة، الذي كان مرشحاً بالمحمودية مقر ولادته. لقد كان "مفهوم البنا عن الوطنية- بحسب ويكيبيديا الإخوان المسلمين- إسلامياً بالتأكيد، وكان هدفه البعيد أن يرى البشرية جمعاء موحدة بالقيادة الإسلامية"!!

وفي أواخر الأربعينات من القرن العشرين، انتشرت أفكار الجماعة في جميع أنحاء مصر والعالم العربي أيضاً. كان كل فروع من فروع الجماعة يدير مسجداً ومدرسة ونادياً رياضياً. أيضاً، أسس البنا جناحاً عسكرياً- وهو الجهاز السري الخاص بجماعة الإخوان – بهدف محاربة الحكم الإنجليزي، واغتيال أي مسئول يختلف مع الجماعة، والتأثير في مجريات الأحداث في المجتمع بواسطة حملات التفجير. هذا، وقد ظل البنا مرشداً عاماً لجماعة الإخوان المسلمين حتى يوم وفاته. وبسبب خطر الجماعة على المجتمع المصري والدولة المصرية.... أصدر النقراشي باشا؛ رئيس وزراء مصر آنذاك قراراً بحل الجماعة في أواخر سنة1948م ومصادرة أموالها واعتقال معظم أعضائها. وقد قامت الجماعة بإغتيال النقراشي باشا. وبعدها بحوالي شهرين في 12 فبراير 1949م، تم إطلاق النار على حسن البنا وهو خارج من باب جمعية الشبان المسلمين... ونقل إلى مستشفى القصر العيني حيث توفى هناك.

وفي 23 يوليو 1952م، قامت الثورة- وأعضائها كانوا ينتمون لجماعة الإخوان المسلمين- وتم إعادة التحقيق في ملابسات مصرع حسن البنا، وتم القبض على المتهمين بإغتياله وتقديمهم للمحاكمة. وفي أغسطس 1954م، أصدرت محكمة جنايات القاهرة أحكام ثقيلة ضد المتهمين... وقال القاضي في حيثيات الحكم إن قرار الإغتيال قد اتخذته الحكومة السعدية، وبمباركة – وليس تواطؤ- البلاط الملكي.

**سيد قطب (1906- 1966م)**

ظل حسن البنا مرشداً عاماً للإخوان طوال حياته وحتى وفاته في سنة 1949م. وفي سنة 1951م، تم اختيار "حسن الهضيبي" مرشداً عاماً للجماعة، وهو المرشد الثاني للجماعة... الذي في عهده، تم حل جماعة الإخوان مرة ثانية سنة 1954م، عندما اصطدمت مع جمال عبد الناصر... حيث كانت هناك محاولة لإغتياله من قبل الجماعة.

أيضاً، بعد مقتل البنا، انضم سيد قطب إلى عضوية الجماعة سنة 1950م، وهو شخصية هامة في تاريخها حيث أسهم كثيراً في فكر الجماعة، ويعتبر من أكثر الشخصيات تأثيراً في الحركات الإسلامية التي وجدت في بداية الخمسينات من القرن العشرين. وقد كلفه المرشد الثاني للجماعة سنة 1959م، مسئولية الإخوان المسلمين المحتجزين في السجون، إبان حكم جمال عبد الناصر.

وُلد سيد قطب في إحدى قرى أسيوط، وقد أتم حفظ القرآن الكريم وهو بعد صبياً. درس في مدرسة المعلمين الأولية ثم التحق بدار العلوم وتخرج منها سنة 1933م. بعدها عين موظفاً ثم في بداية الأربعينات انتقل إلى وزارة المعارف... ولكنه لم يستمر وقدم استقالته بسبب عدم تبني الوزارة لاقتراحاته ذات الميول الإسلامية.

على أي حال، بعد أن رجع من بعثته في الولايات المتحدة – حيث كان مبعوثاً من وزارة المعارف- إنضم إلى جماعة الإخوان المسلمين سنة 1950م، وبقى فيها عضواً نشيطاً حتى موته أو إعدامه سنة 1966م.

كان لسيد قطب مشروع إسلامي يعتقد فيه بأنه "لابد وأن توجد طبيعة إسلامية تقود البشرية إلى الخلاص". وكانت بداية العلاقة بينه وبين الإخوان هو كتاب "العدالة الإجتماعية في الإسلام"... حيث كتب في طبعته الأولى في الإهداء:" الفتية الذين ألمحهم في خيالي قادمين يردون هذا الدين جديداً كما بدأ، يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويُقتلون". وهو هنا يشير إلى الإخوان المسلمين، وقد فهموا ذلك.... فرحبوا به واتخذوه صديقاً. بعدها، انضم اليهم وأصبح مسئولاً عن القسم الدعوي بالجماعة".

بعد سنة 1954م إثر المحاولة الفاشلة لإغتيال جمال عبد الناصر واتهام الإخوان بذلك، أصبحت العلاقة بينهم وبين جمال عبد الناصر مضطربة... فقبض على الكثيرين منهم وأودعهم السجن ومنهم سيد قطب الذي ألقى في السجن عدة مرات.

وفي عام 1964م، أطلق سراح سيد قطب لعدة أشهر –قبل أن يتم القبض عليه مره أخرى وسجنه ثم إعدامه سنة 1966م- فنشر كتابه " معالم في الطريق"، والذي أكد فيه أن الإنسانية فشلت في تبني نظام القيمة وإرساء العدالة الإجتماعية للجميع. قال إن المجتمعات الغربية التي نادت بالديمقراطية القائمة على الإيدولوجية الفردية، أدى إلى ظلم إجتماعي ضخم بسبب الهيمنة للأقلية على رأس المال. أيضاً، فشلت الكتلة الشرقية في أيديولوجيتها الجماعية. ورأى أن "الإسلام هو الحل" للأزمة البشرية. ذلك لأن العالم كله بما فيهم مصر، يعيش في حالة من الجاهلية بمعنى أن البشرية قد أقاموا نظم خاصة بهم بدلاً من قبول هيمنة إرادة الله.

وقد خلص في كتابه "معالم في الطريق" إلى ضرورة وجود مجتمع من البشر تمتلئ حياتهم بالأخلاقيات الإسلامية. وعليه، فالمطلوب طليعة من المؤمنين لبدء خلق هذه الأمة، التي يمكن أن تنمو بعد ذلك حتى تشمل العالم بأسره. وكان سيد قطب يعني بكتابه، تقديم معالم تحدد الطريق الذي يجب أن تتبعه هذه الطليعة في مواجهة دولة ديكتاتورية. والمطلوب أن يُعدوا للجهاد بهدف الإطاحة بأولئك الذين استولوا على السيادة التي ينبغي أن تكون لله وحده. وكانت وجهة نظر قطب أن هذا الإعداد قد يستغرق خمسة عشر عاماً.

**الإخوان والعنف الطائفي والإرهاب**

منذ نشأة حركة الإخوان المسلمين وهي تتبنى العنف منهجاً؛ ضد المجتمع بصفة عامة والأقباط واليهود بصفة خاصة. ومن رحمها، خرجت كل الجماعات الجهادية التي اصطلت بنارها مصر في السبعينات والتسعينات من القرن العشرين. نكتفي في السطور التالية، ذكر بعض حوادث العنف من الإخون والموجهة خاصة إلى الأقباط خلال سنتي 1947، 1950م:

**الحض على كراهية الأقباط**

جاء في جريدة الأهرام في عددها الصادر بتاريخ 3 مايو سنة 1947م ما يلي:

"عمد جماعة الإخوان إلى إقامة حفل منذ يومين أمام كنيسة مارجرجس بشبرا، وسلطت مكبرات الصوت على الكنيسة، وأخذ خطيب الحفل وهو من جماعة الإخوان المسلمين يلقي خطاباً موضوعه "غداً ينصف المسلمون، قال فيه:" غداً تؤول شركة الترام إلى المسلمين، فتطرد منها جميع الأقباط، وغداً يشتري المسلمون شركة المياه فلا تترك فيها قبطياً واحداً، وغداً يسيطر المسلمون على جميع الشركات فلا يبقى فيها قبطي واحد.....".

وفي 26 إبريل 1947م، وُزع نداء من أحد أئمة المساجد يحض المسلمين فيه على "اجتناب أعداء الله في عيدهم (عيد القيامة للمسيحيين في أبريل 1947م)، ولا تحتفلوا بيوم شم النسيم فلا تشاركوا النصارى في هذا اليوم، فإن السخط ينزل عليهم لأن هذا اليوم ينزل فيه السخط والغضب من الله على اليهود والنصارى لعصيانهم له، ومن عمل مثلهم وشاركهم في إثمهم استحق لعنة الله والملائكة والناس أجمعين".

**حرق الكنائس**

هنا وصف لحادث حريق كنيسة الزقازيق سنة 1947م:

"كانت الليلة معدة لعظة تسمعها سيدات الأقباط عن الفداء؛ فداء الآخرة بالدنيا وفداء الوطن بالنفس والمال، فإذا بهن محاطات بالجماهير الصاخبة ثم محاطات بالنار المندلعة... وبادر جيران الكنيسة بإلقاء السلالم الخشبية فارتقينها ونجون". وبعدها، نُهب ما لم تستهلكه النار من الكنيسة، بالإضافة إلى المظاهرة التي اخترقت جميع الشوارع ... وكان الجمع يهتف "اليوم يوم الصهيونية وغداً يوم المسيحية... اليوم يوم سبت وغداً يوم الأحد". وللأسف، لم يتحرك البوليس ولم يقبض على أي أحد!!

وفي نفس الشهر والسنة، وقع حادث حريق مماثل في الكنيسة القبطية بالحضرة بالإسكندرية... وأيضاً، الفاعل مجهول!!

وفي4 يناير قبل عيد الميلاد بثلاثة أيام- وقعت حادثة إحراق الكنيسة القبطية بالسويس. ثم حرق بعض المسيحيين وأُلقي بهم في الطرقات، ثم إلقائهم بعد ذلك في الكنيسة وإشعال النار فيها. وأيضاً، أفلت الإخوان المسلمين من العقاب هذه المرة، تحت سمع ومرآى من السلطات !! لقد كان ذنب الضحايا الوحيد أنهم مسيحيون!!

**حوادث الإرهاب والترويع**

في بورسعيد، قامت جماعة من الغوغاء بإحضار صندوق يشبه صناديق الموتى، ورفعوا عليه صليباً... ووضعوه على عربة يجرها اثنان من الخيل... ووضعوا على الخيل ملابس سوداء... والبسوا أحدهم عمامة سوداء ووضعوا في يده صليباً من الحديد. وطافوا الشوارع الرئيسية في المدينة وهم يهتفون "مات الكلب فإلى النار".

بعدها، انزلوا النعش خارج المدينة، وصلى عليه (القسيس) المصطنع، ودقوا جرساً من قطعة حديد. وبعد (الصلاة) صبوا على النعش بترولاً وأحرقوه. وكان البوليس أيضاً (يتفرج)!

وعندما توفى "بطرس يوسف حنا" في مدينة بورسعيد، هاجم جمع من الشبان الجنازة... وطاردوا المشيعين وسبوهم في دينهم، وعطلوا سير الجنازة. ولولا إستخدام الحكمة لحدث مالا تحمد عقباه.

وفي سنة 1950م، وصلت إلى المسئولين في وزارة الداخلية والبطريركية تلغرافات استغاثة من أقباط فرشوط، يشكون من اعتداءات خطيرة وقعت بهم، وأنهم يلتزمون بيوتهم خوفاً ورعباً. ولم تتحرك وزاة الداخلية أيضاً لتأمينهم على الأقل!!

**الإخوان في عصر السادات**

بدأ السادات في إطلاق سراح السجناء من جماعة الإخوان تدريجياً..إلى أن تم العفو عن الجميع بمقتضى العفو العام سنة 1975م. وكان الإخوان يطالبون بضرورة تطبيق الشريعة الإسلامية في البلاد.. وعليه، كانت الإستجابة من الرئيس والحكومة ببدء مراجعة القوانين حتى تنسجم مع الشريعة، كما تم تعديل الدستور في مادته الثانية، حيث نصت على أن الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيسي للتشريع، بدلاً من كونها إحدى مصادر التشريع.

ورغم أن قانون الأحزاب في مصر آنذاك يحظر وجود أحزاب على أسس دينية، إلا أنه كان مسموحاً للإخوان بالعمل السياسي ونشر جريدتهم "الدعوة" التي تعبر عن أفكارهم (السياسية)!!

وقد سمح الرئيس السادات للتيار الديني – وأبرزهم جماعة الإخوان المسلمين- بالعمل في المجتمع حتى يستطيع بهم محاربة التيار اليساري. وهذا جعلهم- الإخوان المسلمون- يتغلغلون في جميع موسسات الدولة والنقابات والجامعة... الخ.

**الإخوان في عصر مبارك**

كانت الجماعة محظورة رسمياً، ورغم ذلك كانت تشارك في العمل السياسي بكل قوة!! ففي سنة 1984م-أثناء إجراء إنتخابات مجلس الشعب- تحالفت مع حزب الوفد، وفي سنة 1987م، تحالفوا مع حزب العمل والأحزاب الليبرالية. وفي سنة 2000م، كان لهم 17 عضو في مجلس الشعب. وبعد خمسة أعوام- سنة 2005م- فازوا بحوالي 20% من مقاعد المجلس. كما كانت مكاتبهم منتشرة في جميع أنحاء الجمهورية... وكان لهم صحيفتين هما لواء الإسلام والاعتصام.

وكان الإخوان يعملون وينشطون عن طريق:

* الجمعيات الخيرية الإسلامية والمساجد.
* وعن طريق تجنيد الشباب، خاصة في الجامعات.
* وكذلك في النقابات، التي سيطروا على مجالسها مثل نقابة الأطباء والمحامين والمهندسين وغيرها.

**الإخوان ما بعد مبارك**

في 25 يناير 2011م، قامت مظاهرات –أو ثورة- ضد نظام مبارك ... وأسقطوه، فتنحى وكلف المجلس العسكري بقيادة البلاد. وكانت فرصة ذهبية للإخوان- الذين لم يشاركوا في الثورة في أيامها الأولى- أن يسيطروا على حكم البلاد. وبالفعل في أول إنتخابات برلمانية سيطر الإسلاميين- حزب الحرية والعدالة التابع للإخوان وحزب النور السلفي- على 70% من مقاعد البرلمان. كما أختاروا الأعضاء المئة الذين وضعوا دستوراً جديد لمصر، في ظل إنسحاب الأعضاء الذين يمثلوا التيار الليبرالي مثل المسيحيين والشباب والنساء.

وبسبب الهيمنة الكاملة للتيار الإسلامي على مفاصل الدولة، واستبعاد جميع المعارضين، وارتكاب أخطاء سياسية فادحة في عهد الرئيس محمد مرسي- الذي كان رئيساً لحزب الحرية والعدالة التابع لجماعة الإخوان المسلمين قبل انتخابه رئيساً للبلاد- قامت حركة "تمرد" بحملة ضخمة لرفض استمرار الرئيس في الحكم... وهكذا بعد سنة من حكم الإخوان، خرجت مظاهرات مليونية ضخمة في 30 يوينو 2013م ترفض بقاء الرئيس في السلطة.

وانحاز الجيش للشعب، وانتشرت قواته في الشوارع... وتم القبض على الرئيس واحتجازه... وتكليف رئيس المحكمة الدستورية العليا بمهام رئيس الجمهورية مؤقتاً حتى انتخاب رئيساً جديداً للبلاد. أيضاً, تم القبض على بعض القيادات الرئيسية للإخوان، وإغلاق بعض القنوات الإسلامية التي تنشر الفتنة، وحل جمعية الإخوان المسلمين سنة2013م، وكذلك حل حزب الحرية والعدالة سنة 2014م.

وحالياً، يقود البلاد الرئيس عبد الفتاح السيسي، الذي يتمتع بشعبية عظيمة بسبب مساندته للشعب ضد حكم الإخوان.

**خاتمة**

اختم ببعض العبارت التي وردت في الفصل الأول من كتاب "سر المعبد" للأستاذ ثروت الخرباوي (القيادي المنشق عن جماعة الإخوان منذ سنة 2002مم) والتي يعبر فيها عن بعض مشاعره وأفكاره:

* ما أقسى أن ترهن روحك لآخرين (تنظيم الإخوان) حتى ولو كانوا ملائكة.
* ما أعظم الحرية حين تداعب مشاعر من عاش مقيداً مكبلاً ، كانت آخر أيامي في تنظيم الإخوا هي أسعد أيام حياتي (حين كان يفكر في ترك الإخوان).
* أظن جماعة الإخوان تحولت إلى سجن بشري لا يحفل كثيراً بقيمة الحرية.
* فررت بقلبي من تنظيم لا يعرف القلوب ولا يأبه للمشاعر .

**المراجع:**

1. الملل والنحل والإعراق- مركز ابن خلدون للدراسات الإنمائية- شركة الطباعة العربية الحديثة.
2. الأقباط ( النشأة والصراع) لملاك لوقا- مطبعة أنجيليوس.
3. وطنية الكنيسة القبطية وتاريخها المعاصر، للراهب القمص أنطونيوس الأنطوني(الجزء الثالث)- مكتبة المحبة.
4. وطنية الكنيسة القبطية وتاريخها المعاصر، للراهب القمص أنطونيوس الأنطوني(الجزء الرابع)- مكتبة المحبة.
5. سر المعبد للأستاذ ثروت الخرباوي- دار نهضة مصر
6. الإخوان المسلمين في مصر- ويكيديا الإخوان المسلمين- الموسوعة التاريخية الرسمية لجماعة الأخوان المسلمون.
7. الإخوان المسلمون- ويكيديا الموسوعة الحرة.
8. نبذة عن الإخوان المسلمين في مصر- 7يوليو 2013- BBC
9. حل جمعية الإخوان المسلمين- صدى البلد 11/10/ 2013.